الفصل الرابع

المسجد ووظيفته:

وظيفة المسجد فى المجتمع أن يُذْكَرَ فيه اسم الله، حسبما جاء فى قول الله سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[1].

وفى هذا المجتمع الطاهر الصافى من الأحقاد ـ لأن الصلاة تغسل القلب وتطهر النفس ـ يمكن أن يكون المسجد:

١ ـ مجلس شعب:

ورواده هم الأعضاء الذين يمارسون نشاطهم داخل وخارج المسجد، وقد وصفهم الحق بقوله: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾[2].

فهو ـ إذَنْ ـ بمثابة برلمان دائم، يصون للأمة كرامتها، ويصقل النفوس؛ لتكون متيقظة فى كل وقت، من على منبره تلقى التوجيهات، ويحضر الحاكم بنفسه مع الرواد فى كل صلاة جامعة يلقى بيانه أمامهم، وهو ما نسميه خطاب

---

(١) سورة النور ـ الآيتان: ٣٦ و ٣٧.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ١١٢.

العرش الذى يلقى عندما يتولى الحاكم مهام الدولة، يعرض سياسته، ويحدد منهجه، ويطلب من الأُمة باسم الأمانة أن يساعدوه فى أداء الرسالة، ويحاسبوه إنْ أخطأ، ويُقَوِّمُوهُ إن اعوجَّ؛ لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والمؤمن مرآة أخيه، وأبو بكر - رضى الله تعالى عنه - رسم هذا المنهج، ووضع هذه القاعدة الأساسية. لقد خطب عندما تولى الخلافة فقال: إنِّى وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنْ رأيتُمونى عَلَى حَق فَأَعِينُونِى، وإنْ رأيتُمونِى على باطلٍ فَقَوِّمُونِى، وعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول: رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى إلينا عُيُوبَنَا.

وكان هذا دأب الخلفاء والأمراء والحكام أيام الدولة الزاهرة، وأيام أن كان للمسجد هيمنته على كل مرافق الحياة، تنبع منه وتشع فى جوانب المجتمع ثقة متداولة بين الحاكم والمحكوم. ولقد روى التاريخ أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: لو رَأَيْنَا فيك اعوجاجًا لَقَوَّمْنَاكَ بِحَدِّ سُيوفِنَا، وإذا بعمر يقول: الحمد لله الذى جعل فى أُمة محمد مَنْ يُقَوِّمُ اعْوِجَاجَ عمر.

إنّ الأمة لو رجعت للمسجد الجامع واتخذته مقرًا لأن يجتمع فيه أعضاء مجلس الشعب مرة كل عام على الأقل وناقشوا مع الجميع بروح الحب والثقة مشاكل المجتمع بقلب مفتوح، لوُضِعَت الحلولُ الصحيحة لكثير من المشاكل؛ لأن الراية التى سترتفع فى المسجد: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[1].

إن بعض الناس لهم مشاكل ولا يستطيعون الوصول للنائب لعرضها عليه، فلو كان المسجد الجامع فى كل محافظة يتم فيه اللقاء المفتوح، واستمع النواب إلى تلك المشاكل، وعلا صوت: نريد أن يكون التعاون حليفنا، وحُب الخير رائدنا، وقول الرسول ﷺ أمامنا، وهو: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ

(١) سورة المائدة - من الآية الثانية.

فالجو كله صفاء، وحصْنٌ حصين؛ لأنه جاء فى الأثر: حَصِّنُوا أموَالَكُم بالزكاة، وداوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، واستقبلوا أمواجَ البلاءِ بالدعاء والتضرع.

المسجد يعلم كل فرد الكرَمَ والسَّخَاء والجودَ والإحسان والإنفاق فى أوجه الخير؛ لأن حديث السماء يرن فى أذنه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

إن المسلم مُطالَبٌ بالإنفاق فى أبواب الخير: من إطعام اليتيم، وكسوة المسكين، وسد حاجة الأرملة، والتوسعة على ابن السبيل. وعليه أن يجتنب الإنفاق فى أبواب الشر والملذات الزائدة عن الحد؛ لأن الحق ـ سبحانه ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾[2].

ويقول: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾[3].

إن المال فى يد الإنسان امتحان له واختبار، هل هو بهذا المال يحمد الله ويشكره، والشكر يزيد النعم، ومِنَ الشكر أن يتجه الغنى بماله إلى مشروعات الخير، مثل بناء المساجد، وإنارتها، وفرشها، وإدخال المياه إليها، والمدارس لتحفيظ القرآن الكريم، والتيسير على العلماء؛ ليتفرغوا للعلوم يمحصونها ويبتكرون فى أسلوبها، وكذلك المستشفيات، والعلاج، والأطباء، وشق الطرق، وهذه الأعمال من الأمور المحمودة المباركة التى دَعَا إليها الإسلام ورَغَّبَ فيها، وصوت الإمام هو الذى يعلو بهذه الدعوة من فوق المنبر بين الحين والحين يُذَكِّرُ الناس بقول الله جلَّ وعَلا: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ـ من الآية ٣١.

لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم الْقَدْرَ الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله سوف يحاسبهم حسابًا شديدًا ويعذبهم عذابًا أليما. وحديث أَنَسٍ الذى رواه الطبرانى عن رسول الله ﷺ يقول: «ويْلٌ للأغنياء مِنَ الفُقراءِ يومِ القِيامة، يَقُولُونَ: رَبَّنَا ظَلَمُونَا حُقُوقَنَا التى فَرَضْتَ لنا عليهم. فيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: وعِزَّتِى وجَلاَلِى لأُدْنِيَنَّكم ولأُبَاعِدَنَّهُمْ». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[2].

إذا كان المسجد يوجه إلى هذا فإن صوت الإمام كذلك يدعو الفقراء إلى العمل، والسعى فى مناكب الأرض، والأخذ فى الأسباب: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ ﴾[1].

وإلا فإن الإنسان لا يَيْئَسُ ولا يقنط، ولا يتضجر، ولا يطلب رزق الله بالمعصية وارتكابها، بل عليه أن يكون وَقَّافًا عند حدود الله وله همة عالية؛ لأن الغنَى غِنَى النفس. وقد جاء فى حديث ابن حبَّان عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أَبَا ذَرّ، أتَرَى كَثْرَةَ المال هُوَ الغنَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله. قَالَ: أتَرَى قِلَّةَ المَال هُوَ الفقرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله. قَالَ: إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ القَلْبِ. فشعور الإنسان بالعزة، واحتماؤه بحمى الله، واعتماده عليه هذا هو الغنى.. ومَاَ أروَعَ ما قاله الإمام علىٌّ كَرَّمَ الله وجهه:

---

(١) سورة التغابن ـ الآيات من ١٥ ـ ١٧.

(٢) سورة المعارج ـ الآيتان: ٢٤ و ٢٥.

(٣) سورة الطلاق ـ من الآيتين: ٢ و ٣.

obeikandi.com

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى ما يزينُهَا ... تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
ولا تُرِيَنَّ النَّاسَ إِلاَّ تَجَمُّلاً ... نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ اليومِ فَاصْبِرْ إلى غَدٍ ... عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
يَعِزُّ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ ... ويَغْنَى غَنِيُّ المَالِ وَهْوَ ذَلِيلُ

ويقول الآخر:

هِيَ الْقَنَاعَةُ فَالْزَمْهَا تَعِشْ مَلِكًا ... لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِلاَّ رَاحَةُ البَدَنِ
وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ القُطْنِ وَالْكَفَنِ؟!

ولقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لأن يأخذ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِىَ بِحُزْمَةٍ من حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِه فيبيعَها فيكُفَّ بها وَجْهَهُ خَيْرٌ له مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَمْ مَنَعُوهُ». وحديث آخر للبخارى عن رسول الله ﷺ: «ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِىَّ الله دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

إن رسالة المسجد تحث الغنى على المساهمة فى فك أزمة المجتمع، والتوسعة على المحتاجين، وعدالة توزيع الزكاة التى شرعها الله فرضًا على من مَلَكَ النِّصَابَ المحدد. وكذلك تدفع بالفقير ليكون عاملاً منتجًا فى مجتمعه، وليس كَلا[1] على غيره. وإذا كانت اليدُ العُليا - أى: التى تُعْطِى - خَيْرٌ مِنَ اليدِ السُّفْلَى - وهى التى تأخذ - فإنَّ الإسلامَ نَهَى الغَنِىَّ أن يَمُنَّ على الفقير بَصَدَقَتِه، أو يُعَيِّرَهُ بالقَدْرِ الذى أخذه من الزكاة، أو أن يستعبده، أو يتحكم فى رقبته بهذا العطاء، يقول الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[2].

(١) كَلاً: عَالَةً.
(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٦٣.

ويجب على المحتاج أن يأخذ ما يكفيه فقط، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِىَ مَالَهُ فَإِنَّما هِىَ رَضْفٌ[1] مِنَ النَّارِ مُلْهِبَةٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقِلَّ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ» أى: الذى يتخذ الشحاذة والتسول وسؤال الناس بابَ غِنًى، فإنما هو يأخذ قطع حجارة محماة كأنها نار موقدة؛ ذلك لأنه يأخذ ماليس له، وكذلك يأخذ أوساخ الناس وخطاياهم.

وهذا توجيه وإرشاد لمن كان عنده عشاء ليلة ألا يسأل الناس ولا يأخذ، ويوضح هذا قول رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فى سِرْبِه، مُعَافًى فى بَدَنِه، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَا فِيرِهَا» رَوَاهُ الترمذى.

إن أمتنا اليوم تشكو صداع التسول وعدم معرفة أصحاب الحقوق، ومَرَدُّ ذلك أن الدولة اتسعت رقعتها، فكان لابد لهذا الاتساع من أن يكون المسجد به سجل الذين يُحِيطُونَ به، خاصة أصحاب الحاجات، فإذا أراد الواحد منهم الهجرة أخذ من المسجد ما يفيد بأن له فى أعطيات المسجد نصيبًا، ولكن هذا لم يحدث، فكان ما نعانيه من اختلاط الحابل بالنابل. وإذا ما تمت عملية التسجيل فإننا بهذا نضمن أن ما يُدفع يكون للمحتاج فعلا.

وياليت قومى يعلمون هذا وما يعود به على الأمة من استقرار واستتباب للأمن، فتسارع إلى تنظيمه، ووضع الضوابط لهذا المسلك الإنسانى العظيم، وعدالة توزيع الزكاة وجمعها. إن الفقر كُفْر، ولقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ منهما ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ».

إن البطون الجائعة لم تشبع إلا يوم أن مَدَّ الإسلام ظله الظليل على الإنسانية الحائرة، وكان للمسجد دور الريادة فى وضع دفاتر يسجل بها أسماء المزكين، وأخرى للمحتاجين، وتقوم لجنة من الرواد بهذا العمل تطوعًا بعد الانتهاء من عملهم المعيشى، ثم يكون هناك نماء لمال الزكاة فى مشاريع إنتاجية، يكون من ورائها تشغيل الأيدى العاملة العاطلة، وإطعام البطون الجائعة ومساجدنا ـ

(١) الرَّضْفُ: جَمْعُ رَضْفَة، وهو الحجر المُحْمَى بالنار.

ما يَحبُّ لنَفْسه» لَقُضِيَ على المشاكل، واختفت الصور الباهتة من حياتنا، فهل آنَ الأوانُ أنَ نضع مثل هذا الموضوع أمامنا ونناقشه بروح الجد حتى يعود للمسجد دوره، ويكون مصدر إشعاع فى المجتمع كما كان، وكما هو المراد منه؟ نرجو ذلك من الله.

٢ ـ مجلس محافظة:

إن التقسيم الإدارى فى الأقاليم الآن، والذى حدث نتيجة الاتساع العمرانى، جعل الاتجاه أن يكون فى كل محافظة مجلس يدير شئون المحافظة، ويساعد كافة الأجهزة المعنية، مع وضع الخطط المتكاملة للوصول إلى أحسن النتائج فى كل المجالات. ولما كان مجلس المحافظة مجلسًا محليًا، يقوم بدراسة المشاكل البيئية، ويضع الحلول لعلاج كافة الأمراض الاجتماعية والخُلقية فى تلك البيئة ـ فإن هذا المجلس يتم بالانتخاب من القاعدة الشعبية، فياحَبَّذَا أن يجتمع هذا المجلس بين الحين والحين فى المسجد، وينتقل فى الكثير من المساجد؛ لتكون رؤيته للمشاكل حقيقية، ورؤيته لها على الطبيعة، وهو يلتقى بأصحاب المصلحة أنفسهم، وإذا كان من المفروض على الحاكم أن يلتقى بالمحكومين فهذا أنسب مكان يلتقى فيه المحافظ ومن معه من المساعدين؛ لأن المسجد هو أنسب مكان وأصلح بيئة لتلك اللقاءات ـ ويُقاس على ذلك مجلس محلى القرية، ومجلس الجمعية الزراعية، وما شاكل ذلك من الجمعيات الخيرية والاجتماعية التى تسعى لكل هدف نبيل من شأنه الارتقاء بمستوى الأمة فى أى اتجاه؛ لأن الصلوات الخمس التى تقام يوميًا فى المسجد فى الإمكان أن يمكث الرواد بعدها دقائق للاستماع إلى تقرير يعرض عليهم، وكُلٌّ يدلى برأيه بأمانة وإخلاص.

والمسجد بهذا الحشد يمثل أكبر مجتمع للجمهور.. إن الناس فى عهد عمر ابن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ غالوا فى مهور النساء، وأحجم الشباب عن الزواج لتلك المغالاة، فأراد عمر أن يضع أعلى حد للمهر، فأعلن ذلك على المنبر، وبينما هو يقول هذا الرأى إذْ وقفت له امرأة وقالت: كيف تقول

هذا والله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1].

فما كان من الخليفة إلا أن رجع عن رأيه، وقال: أصابت المرأة وأخطأ عمر! فهل رأت الإنسانية مجتمعًا فاضلا كهذا الذى تَرَبَّى بين جدران المسجد، وعلى مائدة الصلاة التى تُرَبِّى الإنسان من الداخل على الصفاء، والثبات على المبدأ، وتطهره من الخارج، وتصقل نفسه بنور الإيمان، وتقوى فيه العزيمة والدفاع عن الحق.

٣ - بيت المال أو وزارة المالية:

كان المسجد هو المكان الذى تُجْبَى إليه الزكاة، ثم يتم توزيعها على المستحقين، وكذلك الفَيْء والغنائم، وكل دخل للدولة توضع فيه، وهذه كانت موارد الدولة، وقد وَرَدَ عن أَنَسٍ: أَنَّ مالاً من البحرين جاء للنبى ﷺ، وكان أكثر مالٍ أتى به، فأمر بنثره فى المسجد، ولما انتهى من الصلاة وَزَّعَهُ كله ولم يُبْقِ منه شيئًا. وبهذا يكون المسجد وعاءً للزكاة، وتفريغًا منه للمستحقين، وهو بهذا يمثل وزارة الشئون الاجتماعية؛ لأن التكافل الاجتماعى لم ينبع إلا من المسجد.

ونستطيع أن نقول: إنه يمكن لكل مسجد أن ينشئ جمعية خيرية، ويقوم بعمل حصر لأفراد المنطقة الأغنياء؛ ليدفعوا زكاة أموالهم، والفقراء ليأخذوا حقهم من مال الأغنياء الذى يُجْمَعُ فى المسجد؛ ليكون الجميع فى جو كله تعاون وأخوة ومحبة، الغنى يأمن على ماله، فلا سَطْوَ ولا اعتداء على ماله؛ لأنه حَصَّنَهُ بالزكاة، والفقير لن يحتاج إلى السرقة واللصوصية والاعتداء؛ لأن حقه يصل إليه، وصدق الله العظيم إذْ يقول: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٢٠.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ١٠٣.

والحمد لله ـ بجوارها المبانى المتهدمة، والأماكن الخربة التى يتخذها من لاخلاق لهم فى أعمال غير لائقة، فلوُ بنيت هذه الأماكن بالجهود الذاتية واتُّخِذَتْ مكانًا للتدريب المهنى، قسم للنساء وآخر للرجال، وتعاون الجميع على إجادة الصنعة، ثم طُرِحَتْ فى الأسواق للبيع، لاشك أن هذا من أحسن الأعمال وأفضلها.. ويا حبذا البدء بالمساجد الكبرى فى المدن، خاصة أن أهل الفضل من الأثرياء يترددون عليها، وهم محبون بطبيعتهم لفعل الخير. إن الصداع الذى يعتمل فى رأس الأمة سيزول، وينهض كل فرد بأداء الواجب عليه، وعندئذ تسعد الأمة..

إننا نسمع عن إقامة سوق خيرى لجمعية تحمل ملامح إسلامية، وللأسف يكون فيه عرض للموضة عن طريق راقصة متحللة من القيم الأخلاقية، ويتخلل الحفل الكثير مِمَّا يُغْضِبُ الله ولا يَرْضَى به أصحاب العقيدة. وكثير من المسلمين فى وسط هذا الجمع والحشد الهائل الذى تدار فيه كُئُوس الخمر، وتتعرى فيه أجساد النساء، فلو أن المساجد نافست هذا وصدرت للمجتمع نماذج فريدة من عمل وإنتاج أصحاب النفوس المؤمنة والعقيدة الراسخة لَقَلَّ رُوَّاد الشر الذين يكثرون بقلة أصحاب الحق؛ لأن الشر لا ينتشر إلا إذا غاب أهل الخير. إنها دعوة نوجهها وهى مدروسة ولا تحتاج إلا لنفوس مؤمنة تعمل لله وللخير، ولإسعاد البشر، وهى تردد ما قاله أهل الفضل: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[1].

لقد عرفت الإنسانية العمل عن طريق المسلمين؛ لأن الإسلام يحث عليه، ويدعو إليه، وينهى عن البطالة، ويذم التقاعس، وتأمل ماروُىَ عن سيد الخلق وإمام الدعاة، كيف صَنَعَ مع رَجُلٍ يسأله، يعنى يتسول بلغة اليوم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «أَمَا فى بَيْتِكَ شَىْءٌ؟ قَالَ: حِلْس[2] نلبسُ بعضَهُ ونبسطُ

(١) سورة الإنسان ـ الآيتان: ٩ و ١٠.
(٢) الحِلْسُ: كل ما يُبْسَطُ فى البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع، وما يُفْرَش على ظهر الدابَّة تحت الرَّحْلِ والقَتَبِ والسرج.

بَعْضَهُ، وقَعْبٌ[1] نَشْرَبُ فيه منَ الماء. قال النبى ﷺ: ائْتنى بهمَا فَجاءَ بهما، فأخذَهُمَا رسول الله ﷺ وقال: مَنْ يَشْتَرِى هذين؟ قالَ رجَل: أَنَا آخذُهُمَا بدرهم. قال رسول الله ﷺ: مَنْ يَزيدُ عَلَى درهم (مرتين أو ثلاثا) قَالَ رَجُلٌ: أنا آخُذُهُما بِدِرهَمَيْن، فَأَعْطَاهمَا إِيَّاهُ وأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُما الأنصاريَّ ـ الرجل الذى جاء يسأل ـ وقَالَ: اشْتَرِ بأَحَدِهمَا طَعَامًا فَانْبذْهُ إلى أَهْلكَ، وَاشْتَرِ بالآخَرِ قَدُومًا فَأْتنى بِه، فَأَتَاهُ به، فَشَدَّ فيه رسول الله ﷺ عُودًا بيَده ثم قال: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، ولاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ففَعلَ، فَجَاءَهُ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهَمَ، فَاشْتَرَى ببَعْضِهَا ثَوْبًا، وَببَعْضهَا طَعَامًا، فقال رسول الله ﷺ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ منْ أَنْ تَجِيءَ المَسأَلةُ نُكْتَةً فى وَجْهكَ يَوْمَ القيَامَةِ.. «إِنَّ المسألةَ لا تصلح إلا لثلاث: لذى فقر مدقع، أو لذى غُرْمٍ مقطع، أو لذى دم موجع». رواه أبو داود.

إن المسجد طبيعته أن يلقن العلم ويدفع للعمل؛ ليرتفع بمستوى الناس علميًا وفكريًا وماديًا؛ لتتحقق له مكانة الاستخلاف فى الأرض، عن الله سبحانه وتعالى الذى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2].

والصالح فى الآية هو الذى عنده قُدرة ومعرفة استخراج كنوزها، والانتفاع بخيرها، والارتقاء بالإنسانية فى مضمار التقدم والعمران، مع حُسْنِ الصِّلَة بالله، والسير على نهج الرسالة السماوية، وتطبيق الشريعة التى نزلت على قلب سيد المرسلين. هذا، ولعل قائلا يقول: إذا لم يكن عندى نصَابُ مال لأتصدق منه وأخرج الزكاة التى فرضها الله، فماذا أصنع؟ نقول له: أَسْهِمْ ولو بالقليل فى عمل المشاريع الإنتاجية، وتأسيس دور التدريب المهنى، فإذا لم تستطع المساهمة المالية فليكن بالرأى والعمل اليدوى، والتشجيع بالكلمة البناءة، إن ساعة واحدة تقضيها فى وسط الجو الأخوى تسهم برأيك وجاهك ومنصبك

(١) القَعْبُ: القَدَح الغليظ.
(٢) سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٥.

فكرية، ويا حبذا أن يتم إعداد نشرة أسبوعية بما يجرى فى المنطقة المحيطة بالمسجد، والمشاكل التى تطرأ عليها، والعلاج الأفضل، ويشترك فى إعدادها بعض العناصر الشَّابَّة: أطباء، ومدرسون، وتُجَّار، علاوة على أن فى المقدمة رأى الإمام، وهذه النشرة تعلق بداخل المسجد فى إطار ـ يعنى صحيفة حائط ـ للمسجد، وبجوار هذه المكتبة الجامعة والنشرة نرى أن تكون هناك مكتبة مسموعة إن أمكن، أى مجموعة أشرطة يُسَجل عليها آراء قيمة يمكن إذاعتها فى بعض الأحايين.

إن الكلمة المقروءة والمسموعة التى تنطلق من داخل المسجد يكون لها تأثير فى النفوس وتوجيه لكل عمل بَنَّاء فى حياة البشر. إن تراثنا الإسلامى العظيم من فكر السابقين جدير بنا أن نعود إليه، نقرأ فيه ونضيف إليه، ومن خلال هذا تُنظم ندوات يتحدث فيها أصحاب الفكر وأرباب الرأى، تتناول موضوعات متعددة فى الدين والاقتصاد ووسائل التجارة، وأسباب نجاح المشاريع والسياسة والحكم، كل ذلك باسلوب مترابط واضح وقريب من اذهان المستمعين، بحيث تشد انتباههم وتثير فى أذهان الناس أطراف القضايا العامة، ثم لابد من دراسة التاريخ والجغرافيا ووضع المسلمين فى العالم، وبيان أهم المسائل والمعوقات التى تعترض حيانهم. إن الإسلام هو اللِّواء الذى ينطوى تحته أتباع هذا الدين، وهم بحكم انتمائهم لهذا الدين إخوة، تترابط عواطفهم، وتتحد آمالهم، وينجذب بعضهم إلى بعض، ولسان كل واحد يردد:

أَبِى الإِسْلاَمُ لا أَبَ لى سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْتَمِيمِ

إن المسجد إذا أسهم فى تكوين عقول المسلمين وتنمية ثقافتهم، فإن المجتمع بأسره سيتحول إلى المسجد الذى يؤدى بجواره هذا الغرض الأساسى الذى بُنى له، وهو ذِكْر الله وعبادته، وإقام الصلاة... لقد كان المسجد فى عهد رسول الله ﷺ به كل هذا وزيادة... ولعل افتداء الأسرى بتعليم عشرة من المسلمين فى غزوة بدر خير شاهد على ما نقول. إنا ـ إذ نطالب بفتح مكتبة متعددة الألوان ـ نحذر من الكتب غير الجيدة وما فيها من إسفاف.

إننا نطالب بالكتب الثمينة التى تخدم الفكر الإسلامى، والثقافة البناءة بكل اتجاهاتها. والثقافة جهد مشترك بين الأجيال، اللاحق يواصل مسيرة السابقين، ويستفيد من تجارب الأولين.

إن المسجد الآن جدير أن تعود إليه حركته الفكرية والنشاط العقلى، وهذا مرهون بجهد المخلصين الذين يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا.

ناد رياضى:

إن شبابنا أمل الأمة، وهم رجال الغد، وحملة المسئولية فى المستقبل، إنْ تَمَّ إعدادُهم إعدادًا طيبًا نَهَضَ بهم المجتمع. وقد رأينا فيما قدمناه أن المسجد هو الذى يبنى الإنسان من داخله بالعبادة ومن خارجه بالطهر، ويؤسسه على قوة العقيدة مع قوة البدن؛ لأن العقل السليم فى الجسم السليم، وَوَقْتُ الشباب بَدَلَ أن يُقْضَى فى التسكع على النواصى وفى الطرقات وما يترتب عليه من آثام، فأولى بهم أن يقضوه بين جدران المسجد، الذى إذا استطعنا إن نعد بجواره مكانًا على درجة من الاتساع، ثم يتم تنسيق هذا المكان وتغطيته بالحشائش الخضراء - فإنه يصبح صالحًا لأن يمارس فيه الشباب وغيرهم ألوانًا من الرياضة، وعَرْضَ بعض الفنون النافعة المفيدة من إنتاجهم، وقد أجاز العلماء ذلك قياسًا على أن النبى ﷺ أَذِنَ للحَبَشَة أن يعرضوا بعض اللعب بالحِرَاب فى مسجده، وكان ينظر إليهم ومِنْ خلْفه السيدة عائشة - رضى الله عنها - مستترة بردائه تنظر إليهم أيضًا، وهذا النوع يسمى الآن بالتحطيب، أو ما شاكل ذلك، المهم أن يتم ذلك.

نستطيع أن نقول: لا مانع أن يكون بجوار المسجد ملاعب للكرة بأنواعها، ورفع الأثقال، وحمام سباحة، وكل أنواع الرياضة، فإذا أَذَّنَ المؤذن توقف اللعب، وهدأت الحركة، وتوجه الجميع إلى المسجد يقفون أمام ربهم فى خشوع وتآلف، فإذا قُضِيَت الصلاة دبت الحركة والنشاط من حول المسجد رياضة، وبداخله علمًا وإنَّ الحفاظ على المسجد وقدسيته فى نفوس الناس متأصلة، لقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الطيب على هذا اللون عندما مَرَّ على مجموعة من الشباب وهم يتدربون على الرماية، فقال لهم: «ارْمُوا بَنِى إسْمَاعِيلَ فإنَّ أَبَاكُمْ

يكون لك بذلك أجر المساهمة المالية فإذا لم يمكنك فَكُفَّ لسانك وأمسكه عن العاملين، ولا تكن مُثَبِّطًا للهمم. وصدق رسول الله ﷺ فيما أرشد به عقبة بن عامر عندما قال له: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خطِيئَتِكَ».

إننى أهمس فى أذن الكثير من إخوانى المسلمين الذين يشربون «التمباك، والسجاير، والدخان»، وأقول لهم: إذا كان ثبت طبيًا ضرر هذه الأشياء مجتمعة أو منفردة، وإذا ثبت أن هذا يضر بالصحة، فعدم تعاطيه وشربه أفضل، لأنه يجر إلى التهلكة التى نهانا عنها العليم القدير، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١).

والإنفاق فى استعماله إسراف وتبذير؛ لأن ما ينفق عليه لا يفيد الجسم ولا العقل. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾(٣).

إن الجسم لا يستفيد من الدخان، وعلاوة على رأى الأطباء فيه، فإنه يتسبب فى كثير من الأمراض، كحساسية الصدر، ومرض السرطان، كما أن الفم يُصاب بنتن الرائحة، واصفرار الأسنان، ومن ثَمَّ يسرع إليها التلف. والمؤمن مطلوب منه أن يكون ذا رائحة طيبة؛ لأن نتن الفم يتضرر ويتأذى منه جيرانك فى الصلاة، وكذلك الملائكة. وقد روى الطبرانى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَنِى، ومَنْ آذَانِى فَقَدَ آذَى الله تعالى».

إن كل قرش يصرف فى الدخان الذى يكون سببًا فى ضرر الجسم لو أن الإنسان صرفه على طعام يأكله، أو جلباب يلبسه، أو فاكهة يحملها لأهله،

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ١٩٥.

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية ٣١.

(٣) سورة الإسراء ـ من الآيتين: ٢٦ و ٢٧.

لكان له أَجْرٌ عظيم، فإن كان هذا القرش زائدًا عن حاجته فليُسهم به فى عمل خير يقدمه إلى مجتمعه؛ لأن الذى لايهتم بأمر المسلمين فليس منهم. إن ثمن علبة السجائر لو أَسْهَمْتَ بها فى مشروع خيرى يُقام لكانَ لكَ فى رصيد حسناتك عند الله.

إن الدخان من أساليب الاستعمار التى صدرها إلينا، يَبْتَزُّ بها أموالنا، ويضعف بها صحتنا، فهل آن الآوان أن نعتبر ونتعرف على مواقع أقدامنا؟ وليكن لنا إسهام فى كل عمل خير لخدمة الأمة التى أراد الله لها أن تكون خيرأمةٍ أُخْرِجَتْ للناس. إنها صيحة نرددها: مَنْ الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حسنًا، فيضاعِفَهُ له؟ إنَّ أىَّ عَمَلٍ خَيِّرٍ تُقَدِّمُه للإنسانية لك عليه ثواب مُضَاعَف من الله سبحانه، وكل مليم تقدمه لأى عمل عظيم لك به ثواب وعليه أجر.

فكن - أيها الآخ الكريم - مِنْ رُوَّاد المساجد، ومن المساهمين - ولو بالقليل - فى كل عمل عظيم، والله يهدينا جميعًا لأن تكون يَدُنَا بَنَّاءَةً لخير الإنسانية، مع صدق النية والإخلاص - ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

مكتبة المسجد

لقد رأينا المسجد وهو دار لجمع الزكاة وتوزيعها، ثم تقديم العمل الذى يرتفع بالإنسان ومستواه، ويصنع منه الإنسان الكامل فى خُلُقه وسُلُوكه وعمله وعبادته. إن المسجد مركز إشعاع وتوجيه وتربية لكل المسلمين الذين يسكنون حوله، ثم هو يستهوى طلاب المعرفة، والراغبين فى التزود من الثقافة المتنوعة التى تغذى العقل والفكر، أو تعطيه نوعًا معينًا من الزاد الفكرى المتخصص - إن كان متخصصًا - لذلك يلزم أن يكون بالمسجد مكتبة جامعة متنوعة، تُزَوَّدُ يوميًا بالجديد من الكتب والبحوث والمجلات والصحف؛ ليكون المتردد على تلك المكتبة على صلة بكل جديد فى الفكر، وما يجرى فى العالم من تيارات

(١) سورة البقرة - من الآية ١٢٧.

كَانَ رَامِيًا، ارموا وأنا مع بنى فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقَالَ رسولُ الله ﷺ: ما لكُم لا تَرْمُونَ؟ قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِى وأَنْتَ مَعَهُمْ؟ فَقَالَ: ارْموا أَنا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ».

هذا هو الإمام المعلم لم يأنف أن يرمى مع الشباب وهم يلعبون، حتى إذا سمع صوت المؤذن أسرع معهم للمسجد. فهل لنا أن نتوجه بأبصارنا لتلك الأندية الرياضية نقيم فى كل نادٍ مسجدًا يكون مركز إشعاع للشباب.

وكذلك «الاستاد» الذى تُقام فيه المباريات العامة، نجعل فيه مسجدًا؛ لنربى الروح مع الجسد، وكما نحرص على تقوية العضلات نعمل على تقوية العقيدة وقوة اليقين وتأصيل الخلق. إننا ـ ونحن نشكو من هذا الهرج الذى يؤدى إلى التلف والضرر والبطش ـ نُقدم تلك الجرعة الروحية التى يتزود منها الرواد رحيق الإيمان المصفى من داخل المسجد كعلاج لذلك، فهل لنا أن نعيد تخطيط أنديتنا بما يتفق مع روح الإسلام، ويتلاءم مع طبيعة بيئتنا وأصالة قيمنا، ونضع «المسجد» فى مدخل الأندية؛ ليكون الدليل على قوة عقيدتنا؟

دار الغريب:

أراد أعداء الإسلام أن يضعفوا روح المسلمين فاتجهوا إلى المسجد، وعملوا على عزله عن حياة المسلمين، هذا المسجد الذى كان بمثابة مكتب للخدمة الاجتماعية، وتحصيل الزكاة وتوصيلها إلى أصحابها، ثم هو فى نفس الوقت مكان ينزل فيه الغريب، ويأوى إليه الفقير الذى لايجد مأوى. ونبينا محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ خَصَّصَ فى مسجده مكانًا لإيواء الفقراء الذين ليس لهم بيوت، وعُرفَ هذا بمكان أهل الصُّفَّةِ، وكان عددهم حوالى سبعين فردًا على رأسهم أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ وكان النبى ﷺ يُنفِقُ عليهم من مال الصدقة وتبرعات أهل الفضل. كما كان عبد الله بن عمر ينام فى المسجد وهو شاب لم يتزوج، وكذلك كان بالمسجد سكن خاص لامرأة، كانت أَمَةً

تخدم حيًا من العرب، ثم اتهموها بالسرقة فبرأها الله، وأسلمت، فاتخذت خباءً بالمسجد تسكن فيه وتتردد على أم المؤمنين عائشة فى بيتها.

لقد عرف أهل الخير أن الغريب لابد أن يكون له مكان يأوى إليه، فبنوا المضيفة، والرباط بجوار المساجد، وأوقفوا لها ما يضمن لها استمرار أداء هذا الجانب الخير والعمل العظيم فى حياة الإنسانية، وتعلموا هذا من المسجد الذى اتسع لهذا العمل الرائع، وكان فيه متسع للغريب والفقير. إن يد المسجد حانية رحيمة، لا تعرف القسوة، ولا تتنكر لأى شخص، خاصة إذا كان من أهل لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهذه شهادة السماح بالدخول إلى بيت الله الذى أضافه لنفسه تشريفًا وتكريمًا ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

مستشفى:

المستشفى هو المكان المخصص لعلاج الأمراض وتَطْبِيبِ الجسد، والمسجد هو المكان المخصص لعلاج الأرواح وتطبيب النفوس، ويمكن أن يتحول المسجد إلى مستشفى، كما أن المستشفى قد يتحول إلى مسجد إذا دعت الضرورة، ورسول الله ﷺ اتخذ من المسجد مكانًا لعلاج المرضى... ففى غزوة الخندق أصيب سعد بن معاذ، فضرب النبى ﷺ خيمة له فى المسجد يُعالَج فيها، وقام بتمريضه أهل الخبرة فى هذا المجال، ولقد سال الدم منه فى المسجد، وكذلك ضُرِبَتْ خيمة فيها بعض المسلمين من قبيلة بنى غفار، وهذا يدل على أن المسجد لا يُشكل عبئًا على المجتمع، وإنما هو يتفاعل ويتجاوب مع كل شىء يهم المجتمع، ويموج بالحركة الدائمة التى تدل على تأصله وتعمقه فى كل اتجاه.

إن المريض إذا وصل إلى سمعه نداء: «الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر - أشهد أن لا إلـه إلا الله - أشهد أن لا إلـه إلا الله - أشهد أن محمدًا رسول الله - أشهد أن محمدًا رسول الله. حَىَّ على الصلاة - حَىَّ على الصلاة -

(١) سورة الجن - الآية ١٨.

حيَّ عَلَى الفَلاَح ـ حيَّ على الفلاح ـ الله أكبر ـ الله أكبر ـ لا إله إلا الله» هذا النداء، وهذا النشيد الذى يدخل الأذن فيتسرب إلى القلب، فيستريح الإنسان؛ لأنه وَصَلَ الإنسانَ بربه، وبَيَّنَ أن هذا الإله الكبير المتعال هو الذى بيده الأمر وإليه المرجع، وإذا مرض الإنسان شفاه. «الله أكبر» كلمة حلوة يجد المريض لذة لسماعها، وشفاءً لمرضه، وذهابًا لهمه، وانكشافًا لغمه.

لا تظن ـ أخى القارئ ـ أننا نريد أن نحول المسجد إلى مستشفى، فهذا أمر لا يجوز؛ لأن المسجد بُنِى لِغَرَضٍ أَسْمَى، ولكن نجعل فى كل مستشفى مسجدًا يتردد بين جنباته. هذا النداء الذى يسمعه المريض فيهرع للصلاة إذا كان قادرًا، وإلاَّ صلى فى حجرته ولو قاعدًا، فإن لم يقدر على التيمم صلى فاقد الطهورين. وخلاصة ذلك أن المؤمن يجب عليه أن يكون على صلة دائمة بالله رب العالمين؛ لأن هذه الصلة تخفف عنه الألم وتذهب السقم؛ لأن المؤمن هو أثبت الناس فى الشدائد، وأرضاهم نفسًا بقضاء الله، وأصبرهم على البلاء الذى يَصقل الإيمان فى النفس، ويُذْهِبُ صدأ القلب، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

ومن علامة الإيمان الرضا بقضاء الله وقدره، خيْره وشره، حلوه ومره. وأمام عين الإنسان المريض قول الحق سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾[2].

ولقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ: «ما يُصيبُ المسلمَ مِنْ هَم، ولا غم، ولا نَصَب، ولا وَصَب، حتى الشَّوْكَة يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللهُ بها مِنْ خَطَايَاهُ». وتأمل فى كلمة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: «ما أُصِبْتُ فى دُنْيَاى بمصيبة إلا رأيتُ لله فيها ثلاثَ نِعَمٍ: الأولى: أنها لم تكن فى دينى. الثانية: أنها لم تكن أكبر منها. الثالثة: أننى أرجو ثواب الله عليها». إن

(١) سورة محمد ـ الآية ٣١.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٥١.

المصيبة مادامت بعيدة عن دين الإنسان فهى هينة؛ لأنها تُكَفِّرُ للإنسان السيئات التى عليه، وتزيد فى الحسنات، وما أحوج الفرد إليها. ولقد أصاب أحد الصالحين وَجَعٌ فى ساقه، فلم يتوجع ولم يتبرم، بل صبر واحتسب، وابتسم واسترجع، وحمد الله وشكره، فقيل له: يُصيبك هذا ولا تتوجع؟ فقال: إنَّ حَلاوةَ ثَوابِهِ أَنْسَتْنِى مَرَارَةَ وَجَعِه.

إن المؤمن ينظر بعين بصيرته فيحمد الله، وهذا ـ بلاشك ـ يُحْدِث ارتياحًا للنفس؛ لأن مَنْ نظر إلى بلوى غيره هانت عليه بلواه. ولنا بأن نعتبر بقصة سيدنا يوسف عندما هُدِّدَ: إمَّا أن يرتكب الفاحشة مع امرأة العزيز، وإما أن يدخل السجن، فنظر إلى الدنيا فوجد أنها قصيرة، وأن عمرها إلى فناء، وسعادتها لاتدوم، وكم من لذة دامت ثانية أعقبت مرارة فى الفم سنين وسنين! إن تعب الضمير لن يستريح الإنسان منه أبدًا، وقد يكون تعب الضمير سببًا فى بلاءٍ يُصيب الإنسان فى الدنيا، وفى الآخرة يَلْقَى سوء المصير. أما تعب الجسم فيستريح منه الإنسان بعد قليل؛ لذلك رضى سيدنا يوسف بالسجن عندما قالت امرأة العزيز: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[1].

فكان رده: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[2].

وإنما سقت هذا ليتبين أن مرض المريض ليس لهوانه على الله، كلا، وإنما هو امتحان لقوة عقيدة الإنسان، ومما يزيد فى قوة عقيدة الفرد ـ وهو على فراش مرضه ـ سماعه للأذان الذى يُذكره بالله وقدرته، والنبى ورسالته، ودعوة للصلاة والفلاح.

إن المسئولين عن علاج مرضى المواطنين لو تنبهوا إلى أن رَفْعَ الروح المعنوية لدى المريض يرفع نسبة العلاج إلى أكثر من ٥٠٪، ويكون سببًا فى الشفاء

---

(١) سورة يوسف ـ من الآية ٣٢.

(٢) سورة يوسف ـ من الآية ٣٣.

العاجل، وأن رفع الروح المعنوية لن تأتى إلا عن طريق الإيمان الذى إذا تدخل رفع الطب يده ـ لوتنبهوا إلى ذلك لأقاموا على باب كل عنبر مصلى يُؤَذَّنُ فيه؛ ليتذكر هؤلاء تلك اليد الرحيمة، والرب الحنان المنان، واهب النعم، وشافى السقم، ومخفف التعب، وإذا كان المسجد فى عهد رسول الله ﷺ اتُّخِذَ فى وقت كَمُسْتَشْفَى، فجدير بنا ـ ونحن نبنى أمتنا ـ أن نعمل على إيجاد مسجد فى كل مستشفى؛ لأن المريض هو أقرب الناس إلى الله، وأحوج مَنْ يُذَكَّرُ برب العالمين.

مكان للفرح ـ وآخر للترح:

المسجد جزء من حياة الناس لا يستغنُون عنه بأى حال من الأحوال، وما يحيط به ويتصل بجوه كله طهر ونقاء، ولقاء متجدد بين الناس ينتج عنه إخوة كاملة، فإذا اتخذ المسلمون منه مكانًا لعقد الزواج بين الراغبين فيه، ويتم هذا العقد المبارك الجليل فى ظل الجو الإسلامى المتسم بصفاء الروح بين جدران البيت الذى أذن الله أن يُرْفَع ويُذْكَر فيه اسمه، فيكون ذلك أجدر أن يُبارِكَ الله فيه، وأن تسوده روح المسجد. ولقد سَنَّ النبى ﷺ أن يُعْلَنَ النكاح فى المسجد؛ لأن أكبر عدد من المسلمين يشهدون هذا العقد، ومن السُّنَّة إظهار النكاح فى جَمْعٍ عظيم. وإذا كان من السنة أن تقرع الطبول ويضرب على الدفوف فإن صيغة العقد تتم فى المسجد، وهذا الضرب يتم فى بيت أحد الزوجين، ويُصَان المسجد عن مثل هذا العمل. وياحبذا أن يتم عقد القرآن فى مسجد الحى فى حجرة الإمام، أو مكتبة المسجد، أو فى مكان يخصص لمثل هذا العمل، فإن لم يتيسر ذلك فلا مانع أن يتم فى صحن المسجد بعد صلاة جامعة.

ثم نرى أن يكون بالمسجد مكان ليجتمع فيه المسلمون يتقبلون العزاء عما أصابهم من مصيبة، ويجتمع المسلمون على تلاوة القرآن فى خشوع وخضوع واستحضار للقلب؛ لأن المسلمين اليوم يجتمعون لتقبل العزاء فى أماكن خلوية تُفْرَش بأشياء تكلف أهل الميت الكثير من المال، هذا، وما يحدث فى السُّرادقات عند تلاوة القرآن من شُرب التبغ «السجائر»، وما يستتبع ذلك من عرض

ورفض، الأمر الذى يحدث أحيانًا، وما شاكل ذلك، وكل ذلك غير لائق بالمسلمين.

إن الأخطاء التى تجرى فى الأفراح والأتراح[1] وأصبحت دخيلة على المسلمين وطبائعهم عليهم أن يتنبهوا لخطرها. وأن يعودوا إلى التقاليد الأصيلة التى تتسم بالخلق والفضيلة، والبعيدة عن الإسراف والتبذير، ويا حبذا أن يصبح المسجد هو وجهة المسلمين.

وكأنى ألحظ بعض الإخوة يقول: ما يجرى فى مسجد عمر مكرم بالقاهرة يتفق وما تشير إليه، إننى أقول له: كَلاَّ، إن ما يجرى فى مسجد عمر مكرم وبجواره ثم تلك الميكرفونات أو مُكَبِّرات الأصوات تنبثُّ من ثلاثة سُرادِقات فى وقت واحد، تُقْرأ آيات لا ترابط بينها، علاوة على الشوشرة والضجيج الذى لا يرضى به عاقل، ولا يُقِرُّه إنسان، إنما الذى أهدف إليه أن يجتمع المسلمون على قارئ واحد، وتوضع مداخل متعددة، فيتعرف الإنسان لمن جاء إليه من ورقة مكتوبة تبين المدخل الخاص به، ويتم العزاء فى القاعة الكبرى، ثم يكون ذلك فى المساجد الجامعة التى تتوسط الميادين.

ونود أن نقول: ليس بالضرورة أن يكون كل مسجد على هذا النمط، إنما يتم ذلك فى المساجد التى تتوافر لها الإمكانات، ويحيط بها عدد من السكان، إن المسجد إذا دخل حياة الناس بتلك الصورة فإن إيجابيته تتحقق، ويسهم فى كل مناحى الحياة التى تهم المسلمين وترتبط بمشاعرهم، وإذا كان الوضع كذلك فإن كل الشئون التى تهم المسلمين تُذاع من المسجد وتُعلن من داخله، وإذا استطاع أن يفتح أبوابه طول النهار وجزءًا من الليل وكانت مرافقه الملحقة به عاملة نشطة تدب الحياة فى كل ناحية حسبما تتطلب المنطقة والبيئة ـ فإن المسجد بذلك يدخل على الناس بيوتهم وحياتهم، ويتردد على ألسنتهم، وبذلك يصبح مؤسسة إسلامية جامعة، وتصور الصورة الدقيقة لوظيفة المسجد التى تتسم بالإيجابية والفاعلية، وعندئذ يقبل الناس عليه، ويزداد تعلقهم به؛ لأنه بغير

---

(١) التَّرَحَ: الحُزْن.

المسجد لا يستطيع عامة المسلمين أن يعرفوا أخبار إخوانهم، خاصة الذين تَتَنَاءَى بهم الديار ولا يفدون للمسجد إلا يوم الجمعة، حيث الخطبة تلقى على الجميع، وهى بطبيعتها تشتمل على أهم الأخبار التى تهم سكان المنطقة، وبذلك يتم التعرف على المريض فيزار، وإن كان الفرد مسافرًا رعاه أهل المسجد فى أهله وماله، وإن كان محتاجًا تمت مساعدته باسم الجماعة المتآلفة المتحابة.

إنَّ تَصَدُّرَ المسجد بهذه الصورة المشرقة فى المجتمع يعطى المسلمين مكان الصدارة، وخاصة لو عادوا إليه بتلك المكانة، غير أنه للأسف انكمش عن أداء وظائفه؛ لذلك طمع فى المسلمين العَدُوُّ، وانتهب أرضهم، وأصبحوا أتباعًا بعد أن كانوا قَادَةً. لقد فقد المسلمون أدب المسجد وتفاعله فى حياتهم ففقدوا أنفسهم فى زحمة الصراع على الدنيا، وهم ـ الآن ـ ملايين مبعثرة، وأشتات موزعة، لا دين يطمئن به قلب، ولا دنيا يستقر بها شأن، شقاء هنا وهناك يرزح تحته كل مسلم، والخلاص من ذلك أن يكون المسلمون رَبَّانيين، مُحَمَّدِيين، يتربون فى المسجد على مائدة القرآن، وعلى هَدْيٍ من توجيه صاحب الرسالة والداعية الأول، صلوات الله وسلامه عليه. إنه بغير المسجد لا يقوم بناء المجتمع السليم المتحاب، وبغير المسجد لا تصل حركة المد الإسلامى، ولا تسمع الدنيا بالمسلمين الذين يبيعون أنفسهم لله، ويردد الواحد منهم:

رَكْضًا إلى الله بغير زادِ إلا التقى وعمل المعادِ

إن المسجد إنْ تَصَدَّرَ حَيَاةَ الناسِ فى المجتمع سَعِدُوا وفازوا، ونهضوا من كبوتهم، وَتَبَوَّءُوا مكان السيادة والريادة فى دنيا الناس؛ لذلك يجب أن يزاحم المرافق والمؤسسات، وأن تعود إليه وظيفته حتى يثمر الثمرة الخيِّرة إن شاء الله.

فى وزارة الخارجية:

لا تظن ـ أخى القارئ ـ أننى أريد أن أجعل المسجد وزارة خارجية تستقبل السفراء وتأخذ أوراق اعتمادهم، وأن تكون حيطان المسجد أرْفُفًا وأرشيفًا لتلك الدوسيهات التى تزدحم بها وزارة خارجية، ما إلى هذا قصدت، ولكنى أقصد أن يكون بكل مبنى لوزارة الخارجية مسجد يُؤَذَّنُ فيه عند كل صلاة؛ لكى

يفهم السفراء أو أعضاء البعثات الدبلوماسية أننا بلد إسلامى، وهذه شعيرة ديننا، ثم يتوقف دولاب العمل دقائق وينهض الجميع لأداء الصلاة المطلوبة.

كما يكون بكل مطار دولى - فى أى بلد إسلامى - مسجد تطالع مآذنه عيون الضيوف، فإذا هبطت الطائرة وحان وقت الصلاة كان هناك النداء الذى يدوِّى فى الآفاق ويتجاوب معه كل من فى الوجود، عَرَّفْنَا الضَّيْفَ من خلال هذا النداء أن الأمة التى تتخذ المسجد بهذه الصفة سيحترمها الغير؛ لأن الأمة التى لها عقيدة تتمسك بها يعلو قدرها، وبهذا يكون للمسجد أثر فى كل حياتنا.

إن أول سفير فى الإسلام هو مصعب بن عمير، الذى ذهب ليمثل أُمته، ويعمل على نشر عقيدته فى بلد آخر، وكان منهج حياته جَمْعَ الناسِ وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والتآلف بين الناس، وكم أود لو أن سفراء الدول الإسلامية جعلوا المساجد قبلتهم، واتجهوا إليها، وعمروها بالإيمان، وعرضوا سياسة بلادهم على إخوانهم فى البلاد التى يعملون بها. إن الإسلام انتشر فى إفريقيا وغَزَا آسيا بواسطة هؤلاء السفراء، وكانوا تجارًا، ولكن سلوكهم العام ومظهرهم الخاص جَمَعَ الناس حولهم، وجعل الناس يثقون فيهم ويقلدونهم.

إن رئيس جمهورية مصر العربية السيد - محمد أنور السادات - عندما قام بمبادرة السلام وصلى العيد فى المسجد - المسجد الأقصى - ويومها نقل القمر الصناعى هذا الخبر الفذ العظيم إلى أنحاء الدنيا بأسرها - تغيرت الصورة، وانقلب الوضع، واتضحت الصورة أمام العالم بأن العرب والمسلمين - الذين صَوَّرَتْهُم الصهيونيةُ بأنهم وحوش خَلَتْ قلوبهم من الرحمة - هم أصحاب عقيدة، وأهل صفاء، وعقيدتهم تربطهم برب الأرض والسماء، ألم أَقُلْ أولا بأن العالم يحترم صاحب العقيدة؛ لهذا بادر المجتمع بأسره يُثنى على رئيس الجمهورية المصرية، بل إن خطيب المسجد الأقصى حَيَّاهُ وقال له:

«لولا أنت وزيارتك - يا سيادة الرئيس - ما سمع بنا المجتمع ولا نظر إلينا».. يا سبحان الله! خطوات إلى المسجد غيرت نظرة العالم!

ولقد علمنا المعلم العظيم والمرشد الأمين سيدنا محمد ﷺ أن نتخذ من المسجد مكانًا لاستقبال السفراء ـ الضيوف الأجانب ـ فى المسجد، فهو يشبه قاعة الاستقبال الرسمية. وكان المسجد مفتوحًا لجميع الوافدين فى عهد رسول الله ﷺ، حتى ولو كانوا غير مسلمين.

ولقد كان النبى ﷺ يستقبل الوفود فى المسجد التى تأتى لأغراض مختلفة، كطلب عِلْمٍ، أو إعلان إسلام، أو عقد معاهدة أو تحالف، أو طلب معونة. وقد استقبل النبى ﷺ وَفْدَ نصارى نجران، وكان فيه ستون رجلا منهم أربعة عشر من أشرافهم، ثلاثة منهم يرجع إليهم أمرهم، وهم: العاقب عبد المسيح، وهو أميرهم، والسيد الأبهم، وهو ملجؤهم وغياثهم ومطعمهم فى الشدة، وأبو حارثة بن علقمة بكر بن وائل، وهو أسقفهم وعالمهم. دخلوا على النبى ﷺ إثر صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات ـ جُبَبٌ وأردية ـ فقال أصحاب النبى ﷺ: ما رأينا وفدًا مثلهم جمالاً وجلالاً، وحانت صلاتهم فقاموا فَصَلُّوا فى مسجد رسول الله ﷺ إلى الشرق، فقال عليه الصلاة والسلام: دعوهم.

ثم أقاموا فى المدينة أيامًا يناظرونه فى عيسى، وهو يرد عليهم، وفى النهاية دعاهم إلى المباهلة[1]، فأبوا ثم قالوا له: ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا أَرْضَى، فبعث معهم الأمين أبا عبيدة بن الجراح، ونزل فى هذا صدر سورة آل عمران.

ودخول اليهود والنصارى مساجد المسلمين أجازه الإمام الشافعى وأبو حنيفة وغيرهما، وقد ترجم البخارى لدخول المشرك المسجد، وقالوا: إن الممتنع هو دخول المسجد الحرام، وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[2].

---

(١) يقال: بَاهَلَ بعضُهم بعضًا، أى: اجتمعوا فتداعَوْا فاستنزلوا لَعْنَة الله على الكاذب أو الظالم منهم.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٢٨.

إن الإسلام يتميز بالسماحة وعدم التعصب، ومن مبادئه: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[1].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[2].

ألا فلنتجه إلى المسجد نجعله أمام أعيننا ابتداء من مدرسة الروضة للأطفال، ويستمر فى كل مدرسة ومعهد وجامعة وأكاديمية، إلى الوزارات ومبنى المحافظات ومجمعات المصالح، وفى كل مكان يرتفع صوت المؤذن يذكر الناس بربهم ويجذبهم من دنياهم لحظات يعيشون فيها فى غمرة الحب والعشق الإلهى والتعاون والتآلف بعضهم مع بعض ولما كانت وزارة الخارجية تمثل الغالبية العظمى للسكان فإن المسجد لابد أن يكون مرفقًا له حيويته فى مبناها، وفى السفارات فى الخارج؛ ليكون مُعَبِّرًا بمبناه ومعناه عن حال الوطن الذى يرتفع علمه على مبنى السفارة، ثم تتعانق الكلمات التى تعلو مع العلم الذى يشمخ إلى عنان السماء، إننا بذلك نثبت شخصيتنا ونقوى عقيدتنا، ونحرص على أهم ركن فى ديننا ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[3].

وإذا كنا كذلك فسوف تهابنا الدنيا ويحترمنا الصديق والعدو، ولنا فى ماضى الأسلاف خيرُ عِبرة. إذا تسلح رجل السياسة بالعقيدة وتزود بالمثُل الكريمة وانصهر فى بوتقه الإيمان فإن شخصيته تقوى، وتفتح له مغاليق النفس، وتكون له بصيرة تعرف أقدار الرجال الذين يُمَارِس معهم أى لون من التفاوض، أو إبرام المعاهدات، وتأمل تلك الحادثة لتعرف فِرَاسَة المؤمن وكياسته وفِطْنَته، وقد تعلم هذا من المسجد وارتياده له، والتحامه مع الصفوة الممتازة من المؤمنين.

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف ـ الآية ٢٩.

(٣) سورة هود ـ الآية ١١٤.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبد الله ـ قائد من قواده: «انْظُرْ مَنْ صَلَّى قِبَلَكَ إلى القبلة فَضَعْ عنه الجزية». فسارع الناس إلى الإسلام، فقيل للجراح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما فعلوا ذلك نفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان، فكتب الجراح بذلك إلى عمر، الذى رد عليه بقوله: إن الله بعث محمداً ﷺ داعيًا ولم يبعثه خَاتِنًا. وكتب عمر بن عبد العزيز أيضًا إلى أحد عماله ـ وهو يُماثِلُ السفير الآن: «أما بعد، فكن عبداً ناصحًا لله فى عباده، ولاتأخذك فى الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا توله شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف، والنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعى. وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق، فإن الله لا يخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهبًا، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه».

بهذا الأسلوب كان التوجيه يتم بين القائد والخليفة، والحاكم والمحكوم، فهل لنا من عودة إلى المسجد، لنجعله فى كل مرفق ومؤسسة ومصنع ووزارة، وكل دار للتربية؟ إن المدن الجديدة التى تخطط الآن يجب على القائمين عليها أن يجعلوا المسجد فى قلب المنطقة التى تُخَطَّط؛ لأنه يمثل صمام الأمن فيها. ونستطيع أن نقول: إذا كان المستشفى يُبْنَى لصحة الأجسام فإن المسجد مثله يُبْنَى لصحة الروح، وإذا كانت الأيدى الآن ترتفع لتهدم السجون، فإن كل قالب يؤخذ من السجن يجب أن يوضع للمسجد؛ لأنه بالمسجد يتم تطهير المجتمع من الخطرين، وإذا كان شبابنا اليوم يُكثر من السفر للخارج ويتفرق للعمل هنا وهناك، وليست له رابطة تجمعهم، فأولى بنا أن نجعل يوم الجمعة هو يوم الزينة للقاء الأحبة فى رحاب السفارة، وأداء الصلاة جامعة، مما يوطد العلاقة، ويزيد التآلف، ويوجد روح المحبة، والمساعدة، وتوجيه النصح، ومن هنا يكون الولاء للأمة التى ينتمى إليها، فلا يذوب فى المجتمع الآخر وينسى وطنه وأهله وأبناء بلدته.

وعندما كنت فى ألمانيا الغربية وفى مدينة «فرانكفورت» دُعِيتُ لصلاة الجمعة

مع إخواننا الباكستانيين، وقد سرنى أنهم استأجروا لأنفسهم غرفة كبيرة فرشوها ووضعوا بها بعض الكتب، وهى تعريف ببلادهم، وأهم الأنشطة الدينية بها، والمؤسسات التربوية، وأهم المشاهد والمزارات، مع كتب أخرى تشرح القضايا الإسلامية والفكرية التى تجرى على المناخ العالمى.. ثم تجمع الكثير من أبناء الباكستان ومعهم الكثير من مختلف الجنسيات، وأدوا صلاة الجمعة بخطبة وجيزة مُرَكَّزَة، تحث على الخُلق، وتدعم الفضيلة. ولما وصلت إلى «هامبورج» رأيت الأتراك ولهم مسجد، وواعظ قائم به من قِبَلِ دولتهم، وهم على صلة دائمة بسفارتهم فى هذا الشأن. وهكذا كان المسجد فى كل مكان يحتل مكانة فى قلب الجميع، ويجتمع فيه أبناء الوطن فى أى مكان.

إن المسجد دعامة خير، ورمز فلاح، ومهوى أفئدة الصالحين، فلنسر فى إظهاره بمظهر لائق به؛ لتعود به للأمة سعادتها ورقيها، والله من وراء القصد، نعم المعين والموفق إلى كل خير إن شاء الله.

إن المسجد إذا كان قد تقوقع فى الماضى بتخطيط من الاستعمار وأعوانه، فلنعمل من الآن لتقوية أنشطته، حتى تدب الحركة فيه تفاعلاً وإيجابًا، والتحامًا بكل جزئيات الحياة. والرجاء معقود الآن على الشباب خاصة، والمسلمين جميعًا بصفة عامة، واذا كنا نركز على الشباب، فذلك لأنهم أمل الأمة فى غدها المشرق، ومستقبلها الباسم، وهم أقدر من غيرهم على خلق الحركة باستعدادهم الفطرى، ثم إنه الحصن الحصين، والعلاج النافع من كافة الانحرافات لهم، وعلى جميع المسئولين أن يتجهوا إلى هذا «المسجد» والشباب.

وزارة الثقافة والإعلام

واذا كنا قد بينا ما لبعض الأجهزة من دور إيجابى فى وجود المسجد، فهناك وزارة الثقافة والإعلام، ودورها مهم جدًا وخطير؛ لأن رسالة وزارة الثقافة والإعلام إذا لم تُساند رسالة المسجد فإن الخطر جسيم، والمصيبة عظيمة؛ لأن ما يبنيه المسجد فى عام يُهْدَمُ فى مشهد من فيلم فى دقيقة؛ لذلك كان لابد لأجهزة تلك الوزارة أن تخطط برامجها وما يتفق مع رسالة المسجد.

كما أن هناك ما ينشر فى المجلات والجرائد من مناظر تتأفف منها العين ويمجها الذوق السليم. ومع ذلك نحن لا نطالب بأن تغلق السينما أبوابها، ولا يلف ورق الجرائد وتشمع مؤسساتها ـ لا ـ إننا نطالب تلك المؤسسات: إذاعة مرئية أو مسموعة أو مقروءة ـ أن يتخيروا الكلمة الجيدة البناءة الهادفة، وأن يبتعدوا عن الإسفاف والتميع.

هذا، وعلى القائمين بأمر المساجد أن يمسكوا دائمًا بالزمام، وأن يكونوا على مقدرة عظيمة وتَفَتُّح وقُدْرَة على الاستيعاب لتلك التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأن يضعوا نُصْبَ أعينهم صَبَّ هذه الأمور فى القالب الدينى، مع وضع العلاج الصحيح. إن المسجد يقدم النافع للناس بوعى راشد، وعندئذ سيفهمون ضرر وسائل الإعلام غير الجيدة، فيعملون على مقاطعة تلك الأجهزة التى ستضطر إلى تطوير نفسها، وتغيير مادتها بحيث تُرْضِى رغبات القُرَّاء والمستمعين الواعين المتمسكين بدينهم. إنا لانتخذ أسلوب التهجم والتباكى وسيلة وغاية بدون تقديم العلاج ـ لا ـ إن العلاج ينبع من المسجد ورسالته.

من هنا كان لابد لتلك الأجهزة أن تراجع حساباتها، وتعمل على النهوض بالقيم الأخلاقية ومحاربة الرذيلة. كذلك نرى الآن انتشار المقاهى وارتيادها بكثرة ـ خاصة بين المغرب والعشاء ـ وياحبذا أن يقضى الناس هذه الساعة فى المسجد وملحقاته، كُلٌّ يودى دوره حسب قدراته، هذا يجلس فى حلقة علم، وهذا يُعَلِّم أبناء حَيِّه، وهذا يسهم في إخراج جريدة الحائط، وهذا ينظم المكتبة... وبهذا يكون كل فرد طاقة بناءة فى هذا المرفق الحيوى، وقد تكاملت الخدمات فيه، فأصبح مركز إشعاع بكل ما ينفع الناس.

ويمكن أيضًا أن يكون مركز إسعافٍ، وهذا عمل نافع لأهل الحىِّ، يكون به من يعطى الحقن، أو يضمد الجروح، والطبيب المتخصص... وبه كذلك مكان لتوجيه الفتيات والأمهات لأمور الحياة، ومايجب على الواحدة منهن فى حياتها الأسرية والزوجية. ثم به مكان خاص للتدريب على بعض الحرف، مثل أنوالٍ

لصنع السجاد، أو التريكو، أو الآلة الكاتبة، وأعمال النجارة والخياطة. وبه مكان كذلك لمن يلعبون بالكرة، ويمارسون أعمال الرياضة البدنية.

إن كل شيء يمس حياة الناس لابد أن ينطلق من المسجد ومؤسساته وملحقاته التى تُبْنَى باسم الله وتشيدها يد الطهر، إن بعض الناس يتباكَوْنَ على أن النوادى الرياضية أو السينما أو المقاهى جذبت الناس إليها فانصرفوا عن المسجد؛ لأنه تقوقع على نفسه كما قلت، فإذا عادت إليه الحياة عاد إليه الناس، وأسهم الجميع فى رفع صرح الحضارة الإنسانية التى تستمد نُظُمها مِنْ شَرْعِ الله، وهَدْيِ الأنبياء.

إن الذين ينزوون ويبكون على ضياع الخُلُق نقول لهم: هذه سلبية، أما الإيجابية فهى أن نجفف دموعنا، ونخطط بأمانة لكل ما فيه نفع وخير، وكلمة «أنا مالى» لابد أن تُمْحَى من حياتنا، ويكون محلها «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». فإلى العمل الخلاق البناء فى كل اتجاه، على أن يلتحم هذا العمل ويُلصق بالمسجد؛ ليكون باسم الله، وفيه الخير والنفع إن شاء الله. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

كذلك لا ننسى وجود المسجد فى الجيش والقوات المسلحة، فإن وجوده سيدعم الروح المعنوية عند الجندى، ووجوده فى كل كتيبة أمر مهم جدا. ولقد كان رسول الله ﷺ عند تَحَرُّكِه لأية غزوة من الغزوات يكون معه وزير الإعلام ومؤذنه «بلال» ـ رضى الله عنه ـ يُؤَذِّنُ له وقتَ الصلاة. وهناك كذلك صلاة الخوف فى الحرب، وأَمْرُهَا معروف فى كتب الفقه بالتفصيل.

وعلى المسلم أن يقرأ فى بيان هذا من سورة النساء: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا

(١) سورة التوبة ـ الآية ١٠٥.

كلمة أخيرة

نشرت جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٦ من مايو سنة ١٩٧٨م هذا الخبر فى صفحتها الأولى تحت عنوان «العرب يشترون ٣ فنادق فى نيويورك»: «ذكرت اليوم صحيفة النيويورك تايمز أن مجموعة مستثمرين من دول الشرق الأوسط قد عرضوا أن يدفعوا ٥٠ مليون دولار نقدًا لشراء ثلاثة فنادق كبيرة فى نيويورك، هؤلاء المستثمرون من السعوديين والكويتيين والإيرانيين».. هذا هو الخبر، والتعليق عليه: يا حبذا تَتمَّةٌ له تقول: وسوف يتم تحويل صالات الرقص إلى مكان للصلاة، وتحويل الأرفف التى وُضِعَتْ زجاجات الخمر عليها إلى مكتبة عامة، تضم بين جنباتها أمهات كتب الدين الإسلامى والتعريف به، ولأول مرة فى حياة الفندقة فى دول الغرب سَيُؤَذَّنُ للصلاة، وسوف يكون هناك مُحاضِرُون على درجة عالية من الكفاءة لشرح منهج الإسلام وإقامة صلاة الجمعة.. وهكذا.

إن من يقرأ كتاب الله يجد فيه قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[1].

والصالح من أمة محمد ﷺ هو الصالح لعمارة الكون واستخراج ما فيه لخدمة الإنسانية، ثم يكون على درجة طيبة من فَهْم الإسلام وعمق العقيدة

(١) سورة الأنبياء ـ الآيتان: ١٠٥ و ١٠٦.

والعمل على نشرها فى أى مكان؛ لأن هذا الشخص الصالح عليه أن يدعو إلى الله عملاً وقولاً، فمن أعطاه الله المال عليه أن ينفق من ماله فى سبيل نشر الإسلام وإبراز معالمه، هذا، ويجوز جعل الكنائس والبِيَع مساجدَ، لحديث رواه أبو داود، عن عثمان بن أبى العاص، أن النبى ﷺ أمره أن يجعل مسجدَ الطائف حيث كان طواغيتهم.. ويقاس على ذلك صالات الرقص، وبهذا يكون جُند الرحمن قد غلبوا جند الشيطان، ويتحقق قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وجند الله هم الذين آمنوا بالله ربًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، وبالقرآن منهاجًا ودستورًا، ثم هم يبذلون المال فى سبيل الخير، وأهم سبل الخير هو إقامة المساجد، والمستشفيات، والمدارس، وكل مافيه نفع للإنسانية.

هذا، ولما كان المسجد لله سبحانه، وهو المكان الذى تتنزل فيه الرحمة، وعليه البركات، فإنه يُسَنُّ لداخِلِ المسجد أمور:

١ ـ أن يدخل برجله اليمنى.

٢ ـ أن يصلى على النبى ﷺ.

٣ ـ أن يدعو الله بأى دعاء فيه خير وبركة له ولأحبابه.

٤ ـ أن يصلى ركعتين تحية المسجد. وإذا خرج كذلك يخرج برجله الشمال ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو الله.

أخرج ابن حبان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا دَخَلَ أحدُكُم المسجدَ فليُسَلِّمْ عَلَى النبى ﷺ، وَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لى أبوابَ رَحْمَتِكَ. وإذا خَرَجَ فليسلم على النبى ﷺ وليقل: اللَّهُمْ اعْصِمْنِى مِنَ الشيطان الرجيم».

---

(١) سورة الصافات ـ الآية ١٧٣.

سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[1]. صدق الله العظيم.

ويؤخذ من هذا أن الصلاة ـ ومكانها المسجد ـ مطلوبة من الإنسان حتى عند الحرب ونحن نعلم أن الأرضَ مسجدٌ لكل مسلم مالم تتيقن نجاستها؛ لهذا نهيب بالمسلمين جميعًا أن يجعلوا للمسجد مرافقَ متعددة؛ ليعود إلى سيرته الأولى وجَذْبِ الناس إليه، وعندئذٍ يفرحُ المسلمون بنصر الله. نريد أن نبتعد عن الجدل ونتجه إلى العمل الذى فيه النفع، ولنجعل كلمة عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أمام أعيننا: «إذا غضب الله على قوم رزقهم الجدل وأبعدهم عن العمل، وإذا رضى الله عن القوم وفقهم للعمل وأبعدهم عن الجدل»..

فاللَّهُمَّ حببنا إلى المساجد، واجعلنا من أهلها يارب العالمين.

* * *

(١) سورة النساء ـ من الآية ١٠٢.

obeikandl.com

وأخرج أبو داود عن أبى حُمَيْد وأبى أُسَيْد، أن النبى ﷺ قال: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم علي النبي ﷺ، ثم ليقل «اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل، اللهم إنى أسألكَ مِنْ فَضْلِكَ».

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه فسر قول الله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

قال: «هو المسجد، إذا دخلته فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». وبعد ذلك يصلى الإنسان ركعتين تحية المسجد، لكن إذا دخل المسجد الحرام فتحيته الطواف حول الكعبة. فعن أبى قتاده أن النبى ﷺ قال: «إذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المسجدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْن قَبْلَ أن يَجْلِسَ». وكان من هدى النبى ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية للمسجد، ثم يسلم على القوم، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك التحية حق الله تعالى، والسلام على الخلق حق لهم، وحق الله تعالى فى مثل هذا أحق بالتقديم.

ويُكْرَهُ تحريمًا رَفْعُ الصوت فى المسجد، وكذلك البيع والشراء، ونشدان الضالة، وسؤال الصدقة، وتخطى الرقاب بالصناديق لجمع أموال عند أداء خطبة الجمعة؛ لأن كل ذلك يشوش على المصلين، كما سبق أن ذكرنا.

روى ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ رَجُلاً ينشدُ ضَالَّةً فى المسجد فَلْيَقُلْ: لا رادها اللهُ إلَيْكَ، فَإنَّ المسَاجِدَ لم تُبْنَ لهذا» وقد سمع عمر بن الخطاب قومًا من التُّجَّار يذكرون تجارتهم والدنيا فى المسجد، فقال: «إنَّما بُنِيَتِ المساجدُ لِذِكْرِ الله، فَإذَا ذَكَرْتُم تِجارَتَكُم والدنيا فَاخْرُجُوا إلى البَقِيعِ».

ولا ينافى هذا ما قلناه؛ لأن هذا مقصود به الدنيا فقط، إنما إذا روعى مصلحة المسلمين والدين والدنيا معًا فلا بأس، ويكون ما قدمناه فى غير أوقات الصلاة، وبحيث لا يتأذى أحد من المسلمين.

---

(١) سورة النور ـ من الآية ٦١.

حدث أن سعيد بن المسيب كان بالمسجد آخر الليل يتهجد، ثم دخل عمر ابن عبد العزيز، وكان حَسَنَ الصوت، فجهر بالقراءة، فلما سمعه سعيد بن المسيب قال لخادمه: اذْهَبْ إلى هذا المُصَلِّى فَقُلْ له: إمَّا أن تَخْفِضَ صَوْتَكَ وَإمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِد»، ثم أَقْبَلَ على صلاته، فجاء الخادمُ فوجَدَ المصلى عُمَرَ ابن عبد العزيز، فرَجَعَ ولم يَقُلْ شيئًا، فلما سَلَّمَ سعيدٌ قال لخادمه: ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عَمَّا يفعل؟ فقال: هو الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقال: اذْهَبْ إليه وقُلْ له ما أَخْبَرْتُكَ بِهِ. فذهب إليه وقال: «إن سعيدًا يقول لك: إمَّا أن تخفض صوتك، وإمَّا أن تخرج من المسجد» فَخَفَّفَ فى صلاته، فلما سَلَّمَ أَخَذَ نَعْلَيْه وخَرَجَ من المسجد. هذا أدب عظيم، وهو توجبه لكل مسلم عليه أن يلتزم به.

كذلك والإنسان بالمسجد عليه أن يستقبل القبلة ويكره لمن بالمسجد إسناد ظهره إلى القبلة، بل السُّنَّة أن يستقبلها فى جلوسه، فقد رَوَى الطبرانىُّ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «إنَّ لِكُلِّ شَىْءٍ سَيِّدًا، وإنَّ سَيِّدَ المجالسِ قُبَالَةَ القِبْلَةِ. وفى حديث لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال: «أَكْرَمُ المجالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ به القِبْلَةَ». ودخل ابن مسعود إلى المسجد فرأى أن قومًا قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة، فقال لهم: «لا تَحُولُوا بَيْنَ المَلائِكَةِ وبَيْنَ صَلاتِهَا».

ولا يجوز أَخْذ أى شىء من ممتلكات المسجد، فأى شىء يُهْدَى للمسجد يُصْرَفُ عليه، وما قُدِّمَ إليه يكون له، كالحصير، والشمع، والمصابيح، وإذا سقط منه أى حجر يُعَاد إليه، وإلا تُرك مكانه. أخرج أبو داود عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «إن الحصَاةَ لَتُنَاشِدُ الذى يُخْرِجُهَا من المسْجِد (أى: تطلبُ منه ألاَّ يُخرجها من المسجد) وتُلح فى هذا». ويقول سعيد ابن جبير: «الحصَاةُ تَسُبُّ وتَلْعَنُ مَنْ يُخرجها من المسجد». وإذا كان هذا حال الحصاة فما بالك بمن يسرق «حنفية» الوضوء، أو الرصاص الذى يكون بدورات المياه، أو الحصير الذى يُفرش؟ إنَّ كل ذلك حرام أَخْذُه من المسجد.

والإنسان ـ وهو بالمسجد ينتظر الصلاة ـ لا يشبك أصابعه، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا كَان أحَدُكُم فى المسجد فلا يُشَبِّكَنَّ، فَإنَّ التَّشْبِيكَ منَ الشَّيْطَان». وحكْمَةُ النهى عن ذلك أن التشبيك يجلب النوم، وهو مظان الحَدَث. والحسن البصرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول: «يُكْرَهُ تَعَمُّدُ الجلوسِ فى المسجدِ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ؛ لأنَّ الملائكةَ تستغفرُ لمن يجلس فى المسجد على طهارة ينتظر الصلاة». أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزَالُ العبدُ فى صَلاَةٍ ما دَامَ فى مُصَلاَّه ينتظرُ الصَّلاةَ، تقول الملائكة: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللهم ارْحَمْهُ، حتى ينصرف أو يُحْدِثَ فقيل: وما يُحْدِث؟ قال يَفْسُو أو يَضْرَطُ».

هذا، ويجوز أن يكون على المسجد بَيْتٌ، أو البيت فى الدور الأول وأعلاه المسجد ـ ومَنْ أتلفَ أى شىء من المسجد لَزِمَهُ[1]، ولا يجوز لأحد أن ينتفع بأى فضاء خاص بالمسجد، وإلا دفع أُجرته. وكذلك لايجوز لأحد أن ينتفع بشىء من الكهرباء الخاصة به، ولا المياه المخصصة له، ومَّنْ بَنَى بيتًا فى فضاء المسجد يُهْدَم، وكذلك جار المسجد، لا يحق له وضع أى شىء على جداره، كجذع نخلة، أو فروع شجر، ويزال فورًا إذا كان ذلك لغير صالح المسجد؛ لأنه مِلْكٌ لله، والمسلمون جميعًا فيه شركاء، يُجْرَى فى ساحته ما فيه خير للجميع.

إن المسجد لو أدى وظيفته على النحو الذى بيناه وما نهدف إليه ونرجوه فإن الأسباب التى أدت إلى عزله عن المجتمع وتقليل وظائفه فى البيئة، والتى صَرَفت الناس عنه ـ سواء كانت هذه الأسباب نابعة من داخل المجتمعات الإسلامية أو وافدة عليها من تخطيط أعداء الإسلام، نقول: إذا بدأ المسجد يسهم بإيجابية فى أداء الواجب المنوط به فإن هذه الأسباب ـ ستفقد فاعليتها وتزول زوالا مطلقًا، وعندئذ تعود للمسجد مكانته، وللمجتمع الإسلامى عزته، وتبدأ الطلائع الفاهمة الواعية فى التحرك نحو أهدافها، حاملة لكتاب الله، واعية لمسئولياتها، مدركة لغايتها، تنتشر فى ربوع الأرض، تدعو إلى كتاب الله

(١) أى لَزِمَهُ إصلاحه.

وسُنة نبيه، مجاهدة فى سبيل الحق ونشر العدل؛ لُتخرج البشرية من ظلمات الجهل وضلال الانحراف ذات اليمين أو اليسار، حتى تعتدل البشرية على الصراط المستقيم، ملتزمة بالدين القيم، مستهدية بهدى الأنبياء، إنْ تم هذا فإن البشرية تسعد فى يومها، وتُؤَمِّن مستقبلها، وتشبع البطون الجائعة، وتكسى الأجساد العارية، وتنام العيون الأَرِقَة فى ظل الحب والأخُوَّة والحنان.

إن الأمل مرهون بالمسجد وانطلاقه لتأدية واجبه، ويومها سيكون الخير الكثير، والنعيم العظيم، والاستقرار والأمان والسلام يعم الإنسانية الحائرة التائهة فى بيداء الحياة؛ لأنها فقدت مقومات الإيمان، فإن رجعت للإيمان عَمَّهَا ذلك الخير، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]

فإلى الذين ينشدون الخير للإنسانية، وإلى أهل الفضل من بنى الإنسان نقول: اتجهوا بأبصاركم إلى المسجد واجعلوه قبلتكم، وفى بيوتكم، وفى كل مرفق من مرافق دولتكم، ولنا فى السلف الصالح قُدوة، فقد رَوَى البخارى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت:

«لَمْ أَعْقلْ أَبَوَىَّ إلاَّ وَهُمَا يَدِينَان الدِّينَ، ولَمْ يَمرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلاَّ يأتينَا فيه رَسُولُ الله ﷺ طَرَفَىِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثم بَدَا لأَبى بكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجدًا بفناء دَارِه، فكَانَ يُصَلِّى فيه ويقرأ القرآن، فيقفُ عليه نساءُ المشركين وأَبْنَاؤُهُم يَعْجَبُونَ منْهُ، ويَنْظُرُونَ إليه. وكَانَ أبو بكر رَجُلاً بكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إذَا قَرَأَ القُرْآن، فَأَفْزَعَ ذلك أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المشْرِكِينَ».

إن مجمل القول الذى أريده: أن ينتقل المسجد وروحه إلى سائر الأماكن: إلى البيت، والمدرسة، والمصنع، والمزرعة، والنوادى الرياضية، ومراكز الشباب، والمستشفيات، والجامعات، ومَحَاطِّ القطارات، ومواقف الأتوبيس، وفى البواخر فى أعماق البحار، والوزارات، وكل مكان يتجمع فيه مسلم يقول:

---

(١) سورة الأعراف ـ من الآية ٩٦.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وعلى المسلمين أن يتخلَّقُوا بأخلاق المسجد وهم ينطلقون إلى أعمالهم فى الشوارع، وعلى المكاتب، وفى الزحام، وفى المصنع، وفى كل مكان يُزَيِّنُهُ المسلم بإشراق نفسه، وهدوء طبعه، وحُسْن خُلقه، وما يتحلى به من الأمانة وضبط النفس وسعة الصدر، عندئذ ستكون الدنيا جنة ينعم فيها الجميع، حتى الذين لا يدينون بالإسلام، سيجدون العدل والإنصاف والرحمة؛ لأن المسلم قُرآنٌ يمشى على الأرض، محمدىُّ النزعة، إسلامى التربية، ودستورهم يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

هذا، والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

* * *

(١) سورة النحل ـ الآية ٩٠.

obeikandl.com

خاتمة

مما سبق يتبين لنا أن المسجد هو المنطلق إلى كافة مناحى المجتمع؛ لأن الواجبات الاجتماعية امتداد للواجبات الدينية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

ومن بين جدرانه تنطلق الكملة النباءة الهادفة التى تنمى المواهب الفكرية، وتحصن العقل من الغزو الفكرى الوافد علينا من شرق الدنيا أو غربها، ويحمل بين طياته خبث الطوية وسوء الغاية، والدعوة إلى الانحلال الخُلقى، والتقليل من شأن العادات الإسلامية، وهدم الأسس التى يرتكز عليها المجتمع الناهض.

إن الأُخُوَّة بين الناس والمساواة يجب أن تسود المجتمع، والدعوة لهذا تنطلق من المسجد وتهتم بقضايا المسلمين داخل المجتمع وخارجه؛ لأن المسلم لاينفصل عن أخيه فى العقيدة، فالرسول ﷺ يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمنينَ فى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجسَدِ الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى».

وفى حديث آخر: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ المسْلمينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ» وكذلك: «لا يُؤْمِنَ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» إن مناخ الإيمان الصحيح

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٧١.

يجعل الفرد يتنسم فى هوائه روح الصدق والثبات، والأمن والسلام، والحب والإخاء والوفاء.

لهذا فإننا نشعر بثقل المسئولية، ونهيب بكل فرد أن يجعل المسجد نُصب عينيه، ويحرص على التردد - هو وأولاده ومَنْ يُحبُّ - عليه، ويَدْعُو غَيْرَهُ ليتردد على هذا المكان الفاضل معه، ولأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدنيا وما فيها، فَأَسْهِمْ - يا أخى - مع إخوانك فى وضع لبنة فى مسجد حتى يرتفع بناؤه، وأمسك بيدك مكنسة تبعد بها الغبار عن فرش المسجد، وَاحْرِصْ على أن يكون المسجد دائمًا نظيفًا، ثم التحمْ مع رُوَّاده فى مَوَدَّةٍ وأُخُوَّة؛ لتكون لبنة طيبة فى صرح هذا البناء الشامخ، وتندرج تحت قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1].

وحَاوِلْ أن يكون المسجد وجهتك دائمًا، فقد أخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فى الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُم إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُم» والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذى يصليها ثم ينام. ولما كانت صلاة الجماعة من خصائص الأمة المحمدية، وقد شرعها الله لما فيها من التعارف والتآلف وارتباط القلوب وتعود الامتثال والصبر والشجاعة وحُسْن النظام كما

(١) سورة فصّلت - الآيات من ٣٠ - ٣٥.

سبق توضيحه، فإنه لا صَلاَةَ لجارِ المسجد، إلاَّ فى المسجد، ولقد تَوَعَّدَ رسولُ الله ﷺ الذين لا يُصَلُّونَ فى المسجد ولا يشهدون الجماعة بتحريق بيوتهم وإظهار أمرهم للناس؛ لأنهم منافقون.

أخرج أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلاة فَتُقَامَ، ثم آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّى بالنَّاس، ثم أَنْطَلِقَ مَعِىَ برجَالٍ مَعَهُم حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إلى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عليهم بُيوتَهُمْ بِالنَّارِ».

ولما كانت صلاة الفجر والعشاء هما أثقل شىء على المنافق، فقد روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ أَثْقَلَ صَلاَةَ على المنافقين صَلاَةُ العِشَاء وصلاة الفَجْر، ولو يَعْلَمُونَ ما فيهما لأَتَوْهُمَا ولو حَبْوًا».

كما أن النبى ﷺ لم يرخص للضرير فى التخلف عن المسجد لحضور الجماعة. أخرج أبو داود عن ابن أم مكتوم أنه قال: «يا رَسُولَ الله، إنِّى رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ، شاسع[1] الدار، ولى قائد لا يلائمنى، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى»؟ قال: «هل تسمعُ النداء؟» قال: نعم. قال: «لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»، قال ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ: حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس حيث يُنَادَى بِهِنَّ، فإنهن مِنْ سُنَنِ الهدى، وإن الله عز وجل شرع لنبيه ﷺ سنن الهدى، ولقد رأيتُنَا وما يتخلف عنها إلا منافق بَيِّنُ النفاق، ولقد رأيتنا وإن الرجل ليهادى بين الرجلين حتى يُقَامَ فى الصف، ومامنكم من أحد إلا وله مسجد فى بيته، ولو صليتم فى بيوتكم وتركتم مساجدكم تركتم سنن نبيكم، ولو تركتم سنن نبيكم كفرتم.

وحضور النساء المساجد لشهود الجماعة جائز إذا خرجن متسترات غير متبرجات ولا متطيبات ولا متحليات بما يثير الفتنة. وللنساء أن يقمن بأداء الصلاة جماعة وحدهن فى مكان ليس فيه رجال، ففى مسند الإمام الشافعى أن حجيزة بنت حصين قالت: أَمَّتْنَا أُمُّ سَلَمَةَ فى صلاةِ العصر، فَقَامَتْ بَيْنَنَا.

---

(١) شاسع: بعيد.

إن الضوضاء التى عمت المجتمع اليوم تحول دون وصول صوت المؤذن إلى الناس؛ لذلك نرى أن يزود المسجد بمكبر للصوت لإعلام الناس بدخول الوقت المعين لأداء الصلاة. وكذلك تليفون للرد على الاستفسارات الدينية والفتاوى وما شاكل ذلك. وقد أشرنا إلى أن يكون بالمسجد مجلة حائط ويكون بجوارها صندوق لتلقى الاقتراحات ، وإننا نرجو للمسجد أن يقوم بأداء الخدمات المتنوعة للمجتمع المعاصر؛ فإنه لابد لكافة الأجهزة أن تتعاون بجد واجتهاد فى إبراز رسالة المسجد، إن يد الله مع الجماعة التى تتعاون على البر والتقوى ولا تتعاون على الإثم والعدوان، والمسجد يُسهم فى تطهير المجتمع من البدع والخرافات، ومحاربة الاستغلال والاحتكار، ويبين آثار المخدرات وأضرار الشائعات، وينمى العواطف الطيبة، ويبرز العناصر الصالحة، ويدعم الأخلاق الفاضلة، ويوجه إلى حماية الثروة الزراعية وحماية الإنتاج.

فإلى المسلمين فى مشارق الدنيا ومغاربها، وإلى الغيورين على دين الله، وإلى الذين يؤرقهم مستقبل الشباب ويريدون لهم الحماية من الانحراف، ويأملون لهم المستقبل المشرق الباسم، وإلى من يريد للإنسانية أن تسعد وأن تتبوأ مكان الريادة، نقول لهؤلاء جميعًا: اجعلوا المسجد أمامكم، ووجهوا إليه أنظاركم، وتعاونوا مع العاملين فيه للنهوض به، والانطلاق برسالته، حتى يعم الخير الناسَ جميعًا، وتنتشر الرحمة فى صفوف المسلمين، ويكون التعاون هو الركيزة فى مجتمعنا الراشد.

تقبل الله منا ومنكم وهدانا جميعا لكل خير، وجعلنا من أهل المساجد المعمرين لها القائمين بصدق على رعايتها.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة الحشر ـ من الآية: ١٠.